

منهج وإثبات مصدق دعوات الأنبياء



www.balagh.com

من خلال إلقاء نظرة على مسيرة الفكر البشري والمصراع العقدي والاجتماعي يتشخص لنا عمق ذلك الصراع واتساع الملحمة بين الفكر الإلحادي والفكر الإلهي الذي آمن بالوحى والنبوة واتصال النبي الإنسان بعالم الغيب والملائكة الأعلى، وكان إنكار النبوة وتكذيب الأنبياء – ولم يزل – هو محنـة الإنسان ومصدر شقاـئه وعـناـئـه على هـذـه الأرضـ، وـهـذـه المسـأـلة العـقـلـية الخطـيرـة في حـيـاة الإـنـسـانـ، رغم سـهـولة الإـيمـانـ بهاـ وـالـتـصـدـيقـ بما حـمـلـتـهـ لـلـإـنـسـانـ من مـعـارـفـ وـهـدـاـيـةـ، فـهـيـ لمـ تـزـلـ لـدـىـ التـفـكـيرـ الـمـادـيـ منـ أـعـقـدـ مـسـائـلـ الفـكـرـ، وـأـكـثـرـهـ صـعـوبـةـ.

ولقد ركـّـزـ القرآنـ الـكــرـيــمـ فيـ جــاـنــبـ وـاســعـ منـ خــطاـبـهـ عــلــىـ مـحاـكــمـةـ التــفــكــيرـ الــمــنــكــرـ لــمــصــدــقــ الأنــبــيــاءـ (عـ)، وـســوـقــ الأـدــلــةـ عــلــىـ وـجــوـدـ اــلــســيــاحــانــهـ وـقــدـرــتــهـ، وـدـخــلــ فــيـ حــوـارـ طــوـالـ ســنــيــنـ الــوــحــيــ معـ الــجــاـدــيــنـ وـالــكــافــرــينـ بـالــنــبــوــةـ، كــطــاـهـرـةـ غــيــبــيــةـ فــيـ عــالــمـ الإــنــســانــ، أوـ مــعـ الــمــنــكــرــيــنـ لــنــبــوــةـ النــبــيــ الــهــادــيــ مــحــمــدــ بــنــ عــبــدــاــ (صـ)ـ وـلــقــدــ كــانــ لــأـئــمــةـ أـهــلــ الــبــيــتــ وــبــقــيــةـ عــلــمــاءـ إــلــســلــامــ نــضــالــ فــكــرــيــ ضــدــ الزــنــادــقــةــ وــالــمــلــحــدــيــنــ وــمــنــكــرــيــ نــبــوــةــ نــبــيــنــاــ مــحــمــدــ بــنــ عــبــدــاــ (صـ)ـ، خــصــوصــاــ بــعــدــ أـنــ تــمــنــطــقــ التــفــكــيرــ فــيــ الــمــجــتــمــعــ إــلــســلــامــ، وــاـمــتــدــتــ مــوــجــةــ الــفــكــرــ الــمــتــرــجــمــ، وــاـنــتــشــرــتــ مــنــاهــجــ الشــكـــ.

وـقــدــ نــهــمــ الــفــكــرــ الــإــمــاــمــيــ بــالــعــبــءــ الــطــلــيــعــيــ فــيــ الدــفــاعــ عــنــ النــبــوــةــ، كــطــاـهـرـةـ غــيــبــيــةــ بــصــورــةــ عــامــةــ، وــعــنــ نــبــوــةــ

نبينا محمد (ص) وخلود رسالته ومعجزته بصورة خاصة، وتحتفظ المكتبة الإسلامية بتلك المناظرات والمساجلات والآراء والدراسات والأبحاث القائمة على أساس الحجة والدليل والبرهان عبر مستويات التفكير البشري خلال أربعة عشر قرناً، فكان حصة الفكر الإمامي في الدراسات العقائدية وافراً وناصعاً واتسما بالأصلية والعلقانية.

فقد اعتمد المنهج الإمامي في إثبات صدق النبي (ص) على المنهج العقلي الذي يرتكز على أن دعوى النبوة كافية دعوى علمية تحتاج إلى دليل إثبات، وإنَّ الطريق إلى تصديق النبي (ص) هو العقل والاستدلال العقلي الذي يتوصل إلى الإثبات عن طريق المعجزة الدالة على بعثة النبي، وتأييده بها من الله تعالى.

يتضح من أحاديث أئمة أهل البيت ونصوص الدراسات العقائدية في الفكر الإمامي أنَّ الإمامية ترى وجوب النبوة، وأنَّ من ادعى النبوة وأيدى معجزة، فهو نبي يجب تصديقه، وإنَّ محمداً (ص) هو خاتم النبيين قد أيداه الله بالمعجزة الخالدة – وبمعاجز مؤيدة كثيرة.

وقد كتب الخواجة نصير الدين الطوسي في هذا الشأن قائلاً: (في الطريق إلى معرفة صدق النبي (ص)، وطريق معرفة صدقه، ظهور المعجزة على يده، وهو ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى).

أما الشريف المرتضى فقد كتب يقول: (صدق مدعي النبوة لا يثبت إلا بالمعجز الخارق للعادة على وجه لا يتقدر معه إضافته إلى محدث بحسنه أو صفتة المخصوصة، ليعلم الناظر اختصاصه بالقديم تعالى، الذي لا يجوز منه تصديق الكذب).

ويرى الفكر الإمامي أنَّ التصديق ب الأنبياء قضية استدلالية ومعرفة تحتاج إلى اكتساب كما تكتسب المعرفة الأخرى المجهولة لدى الإنسان، وطريق الاستدلال هو العقل الذي يُصدق ويذعن بعد مشاهدة المعجزة، فإذا جاء النبي بما يعجز البشر عن الإتيان آمن الناس بأزمه معجزة من الله سبحانه وأنَّ المؤيد بهنبي مرسل.

ولقد كتب الشيخ الصدوق موضحاً طريق المعرفة بالنبي (ص) قائلاً: (أقول إنَّ المعرفة باكتساب، وكذلك المعرفة بأنبيائه وكل غائب ... إلخ).

وقد نشأ جدال بين أصحاب المذاهب والآراء العقائدية والفلسفية في: هل تكليف النبي بالنبوة هو تفضل من الله عليه عندما اختص بها دون غيره، أم استحقاق استحققه ذلك الشخص لخصال خاصة به ... ؟ فانقسم الفلسفه والمتكلمون الإسلاميون على فريقين اثنين:

قال الشيخ المفید موضحاً ذلك: (أقول إنَّ تكليف النبوة تفضل من الله تعالى على من اختصه بكرامته؛ لعلمه بحميد عاقبته، واحتماع الحال الموجبة في الحكمة بنبوته في الفضل عن سواه، فأما التعظيم على القيام بالنبوة والتبرجيل وفرض الطاعة، فذلك يستحق بعلمه الذي ذكرناه، وهذا مذهب الجمهور من أهل الإمامة، وجميع فقهائنا أهل التقليل، وإنما خالف فيه أصحاب التناخ المُعتزين إلى الإمامية

وغيرهم، ووافقهم على ذلك من متكلمي الإمامية بنو نوبخت، ومن اتبعهم بأسره من المنتهيين إلى الكلام، وجمهور المعتزلة على القول بالتفصل فيها، وأصحاب الحديث بأسرهم على مثل هذا المقال).

المصدر : التشيع (نشأته، معالمه)